بحث مقدم إلى الندوة الدولية الثانية للقراءات

ضمن المحور الخاص بعلم التجويد

الثابت والمتغير في علم التجويد ومنهج الاستمداد من مصنَّفاته

"دراسة وصفية تحليلية "

تقديم

د . عادل إبراهيم أبو شعر

أستاذ مشارك بقسم القراءات والدراسات القرآنية

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

الأردن ، عمان – طبربور

بإشراف هيئة تدقيق المصاحف والقراءة / رئاسة الشؤون الدينية بإسطنبول

خلال الفترة ٣ – ٥ تشرين الثاني ٢٠١٧

الملخص :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا بحث لطيف يتناول الثابت والمتغير في علم التجويد، ويطرح منهجية مقترحة في كيفية الاستمداد من مصنَّفات علم التجويد، جعلته في مبحثين تسبقهما مقدِّمة وتتلوهما خاتمة، تناولت فيه قضايا أدائية ومنهجية مهمة تنال معلِّمي القرآن الكريم ومتعلِّميه . وتوصَّلت فيه إلى عددٍ من النتائج، من أهمِّها أن الثابت في علم التجويد هو الذي تقوم عليه عملية التلقِّي للقرآن الكريم والمشافهة به بين المعلِّم والمتعلِّم، والمعايير الموزونة التي ينقلها المعلِّم إلى المتعلِّم . وأن الناس يتفاوت أخذهم للقرآن الكريم بمقدار تشبُّثهم بعاداتهم النُّطقية وتخلِّيهم عنها، وبمقدار هممهم في الطلب والتحصيل والجدِّ والاجتهاد، وأن المعارف العلمية في كتب التجويد والقراءات تنقسم إلى قسمين: قسمٍ خاصٍّ بتوصيف الرِّواية والأداء وذكر الأسانيد، وهو رافدٌ مهمٌّ للتلقِّي المنطوق، وقسم ثانٍ خاصّ بتوجيه القسم الأول، والكشف عن معانيه إلى غير ذلك من النتائج، وأن المنهجية المقترحة التي يقدِّمها البحث في الاستمداد من مصنَّفات علم التجويد إنما تقوم في أساسها على اختيار علماء موثوقين ومصنَّفاتٍ موثوقة والكشف عن مصطلحاتها ودلالتها، هذا مع الاستفادة من معطيات العصر الحديث في بناء علمٍ تجويديٍّ تأصيليٍّ معاصر، وبالله التوفيق.

الكلمات الدالة : القرآن الكريم، الأداء القرآني، التجويد، القراءات القرآنية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي حفظ القرآن العظيم بسرِّه المكنون في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وجعله كتاباً منيعاً بسرِّ قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢، من تمسَّك به فقد أفلح، ومن تخلَّى عنه فقد خاب وخسر. وأفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن النَّقل الصَّوتيّ للقرآن العظيم الذي يقوم به السادة القراء المتقنون — على مرِّ العصور – هو خصِّيصةٌ من خصائص هذه الأمة، وأساس متينٌ وركن مكينٌ في حفظ أصوات القرآن وحمايتِها وفق الكيفية الأدائيَّة المتلقَّاة من الحضرة الأفصحية النبوية صلى الله عليه وسلَّم.

وهذا بحث لطيف جاء تلبيةً وامتثالاً لدعوة كريمةٍ من هيئة تدقيق المصاحف والقراءة التابعة لرئاسة الشؤون الدينية بإسطنبول، ويتناول الثابت والمتغيِّر في علم التجويد. وترجع أهميته في تناوله لقضايا أدائية ومنهجية مهمة تتعلَّق بمعلِّمي القرآن الكريم ومتعلِّميهم، وهو يطرح منهجية مقترحة في كيفية الاستمداد من مصنَّفات علم التجويد لبناء علمٍ تجويديٍّ تأصيليٍّ معاصر. أسأل الله عز وجل أن يكون هذا البحث نافعاً ومتقبلاً، وبالله التوفيق.

أسئلة البحث

- تتضمن هذه الدراسة سؤالاً رئيساً هو : **ما الثابت والمتغير في علم التجويد؟**

ويتفرَّع عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية مرتبة كالآتي:

- ما هي مواصفات الشيخ المتقن، والطالب المتقن، والإجازة المتقنة؟
- إذا كانت الصورة الأدائية محفوظة فلماذا نلحظ بعض التفاوت على ألسنة القارئين؟
- هل الأداء القرآنيّ تابعٌ للنصوص أم العكس أم الأداء مستقلٌ بذاته ؟
- ما أهمية نصوص الكتب في رفد عملية التلقي والمشافهة؟
- لماذا تتفاوت عبارات المصنِّفين في كتبهم؟
- ما العوائق التي تمنع من قراءة الكتب التجويدية التأصيلية؟

- هل هناك منهجية مقترحة في الانتقاء من كتب التجويد؟
- ما الفرق بين الأدب والتقديس لعبارات العلماء وبين العلم والتحقيق لها؟

حدود البحث

تنوَّعت معارف هذا البحث لتشمل كتب العربية والتجويد والقراءات في الفترة الزمنية التي تمتد من القرن الثاني الهجريّ إلى القرن العاشر الهجري تقريباً.

أهمية البحث وأهدافه

ترجع أهمية البحث إلى أنه يؤصِّل لكيفية التعامل مع قضايا أدائية يختلف القراء المعاصرون حولها، ويهدف إلى ما يأتي:

- الكشف عن المواصفات القياسية للشيخ المتقن، والطالب المتقن، والإجازة المتقنة؟
- الكشف عن علة تفاوت الأداء القرآني على ألسنة القارئين؟
- الكشف عن أهمية نصوص كتب التجويد الأصيلة، وسبب تفاوت عبارات المصنِّفين في كتبهم؟
- البحث عن حلول مقترحة تحكم عملية الأداء القرآني وكيفية الاستمداد من مصنَّفات كتب التجويد؟
- الكشف عن حكم الالتزام الأدبي مع العلماء والقراء وتوقيرهم من جهةٍ ومناقشة آرائهم من جهةٍ أخرى؟

الدراسات السابقة

هناك دراسات تجويدية عامة تناولت موضوع الأداء القرآني وبحثت في نصوص الكتب غير أنني لا أجد – في حدود تقصيري – دراسة خاصةً أفردت هذا الموضوع بالبحث والتحليل، وبالله التوفيق.

منهجية البحث وخطَّته

اتبعت في هذا البحث المختصر المنهج الوصفي التحليليّ، فانتظم هذا البحث في مبحثَين تحتهما عدد من المطالب، تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة. وهذه المباحث هي:

المبحث الأول: الثابت في علم التجويد (عملية النقل الصوتيّ للقرآن الكريم)

المطلب الأول: المواصفات المعيارية للشيخ المتقن .

المطلب الثاني: المواصفات المعيارية للطالب المتقن .

المطلب الثالث: ثبات الأداء القرآني وتفاوته عبر العصور

المبحث الثاني: المتغير في علم التجويد (توصيف الأئمة للظواهر الأدائية)

المطلب الأول: أهمية نصوص كتب التجويد الأصيلة في ضبط عملية الأداء

المطلب الثاني: تفاوت عبارات المصنِّفين في كتبهم

المطلب الثالث: منهجية الاستمداد من مصنَّفات علم التجويد

الخاتمة وأبرز النتائج

المبحث الأول: الثابت في علم التجويد (عملية النقل الصوتيّ للقرآن الكريم)

كان عَرْضُ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم القرآنَ ـ بأمرٍ من ربِّه ـ على أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ تعليماً للأمَّة جميعاً بأنَّ النَّقل الصَّوتيَّ هو أساس متينٌ وركن مكينٌ في حفظ أصوات القرآن وحمايتِها على الكيفية المتلقَّاة من الحضرة الأفصحية النبوية صلى الله عليه وسلَّم.

فحَمَل الصَّحابةُ هذه الأمانة من النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم – ونقَلوا القرآن لمن بعدهم غضّاً طريّاً كما سمعوه من فم المعلِّم الأول – صلى الله عليه وسلم – وسار الأمرُ كذلك من بعدهم فكان لعلماء القراءة في التلقِّي الشفويّ مناهجُ دقيقة، وكانوا يَعُدُّون أفواهَ الرجال أهمَّ مستودعات العلم الحقيقية، ويَرَون أنَّ النَّقلَ من الأفواه هو النَّقلُ السليم الذي يُظهر كلَّ زيفٍ يَعتريه.

وكانوا يَنْهون أن يُؤخذ القرآن من المصحف، وينعَتون كلَّ من يأخذُ القرآن من المصحف بالمصحفيّ، فقد ذَكَر الحافظ أبو العلاء الهمذاني (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) بسنده إلى سليمانَ بنِ موسى، قال: "لاتقرؤوا القرآن على المصحفيّين، ولا تأخذوا العلم عن الصُّحُف"(١).

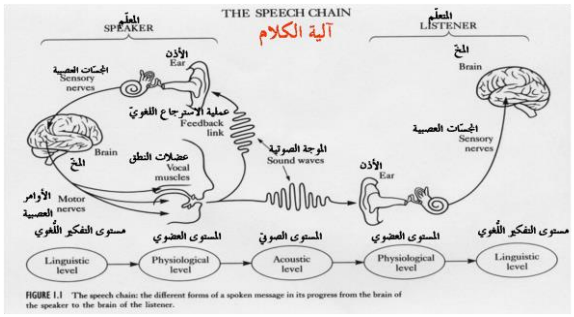

صورة رقم ١ مبدأ التواصل اللغوي الذي نبه عليه ابن حزم قبل كتب علم اللغة الحديث

وقبل الحديث عن المواصفات القياسية التي تحكم عملية تلقِّي القرآن الكريم لابدَّ أن أشير إلى مبدأ هامٍّ في عملية التواصل اللُّغوي في اللُّغات الإنسانية عامة، والذي يقوم على أساس المرسِل والمستقبِل واللُّغة المشتركة بينهما، قال الإمام ابن حزم الأندلسيُّ (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م):"والوجه الثالث: إيقاعُ كلماتٍ مؤلَّفاتٍ من حروف مقطَّعات مَكَّن الحكيمُ القادرُ لها المخارجَ من الصَّدر، والحلقِ، وأنابيبِ الرئة، والحنك، واللِّسان، والشفتَين، والأسنان، وهيّأ لها الهواءَ المندفِعَ بقَرع اللِّسان إلى صِماخ الآذان، فيُوصِل بذلك **نفسُ المتكلِّم** مثلَ ما قد استبانَتْه واستقرَّ منها إلى **نفس المخاطَب**، وينقلُها إليه بصوتٍ مفهومٍ بقَبول الطَّبع منها **للغةٍ اتَّفقا عليها**، فيَستبينُ من ذلك ما قد استبانَته نفْسُ المتكلِّم، ويَستقِرُّ

(١) التمهيد في معرفة التجويد ص٢٤٦ .

في نفس المخاطَب مثلَ ما قد استقرَّ في نفس المتكلِّم"[1]. وهو المبدأ الذي تَحتَفِلُ به كتبُ علم اللُّغة المعاصر في أوَّل مباحثِها[2] (انظر الصورة رقم١).

وهو – أيضاً – المبدأ ذاته الذي تقوم عليه عملية التلقِّي للقرآن الكريم والمشافهة به بين المعلِّم والمتعلِّم، والمعايير الموزونة التي ينقلها المعلِّم إلى المتعلِّم . وهو الثابت في علم التجويد، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۝١٨﴾ القيامة: ١٧ – ١٨.

المطلب الأول: المواصفات المعيارية للمعلِّم المتقن

يمكن تلخيص هذه المواصفات في أربعة شروط:

١. سلامة المقاييس الصوتية الدقيقة في الدِّماغ، بمعنى سلامة الأصوات المحفوظة التي تلقَّاها المعلِّم عن مشايخه، وأجازوه بها، ويستطيع أن يعرض بها الأصواتَ التي ترِدُ عليه من المتعلِّمين.
٢. سلامة أعضاء النطق. بمعنى أن تكون خاليةً من الآفات التي تصيب الجهاز النطقيَّ والسمعيَّ، وتمنع من نقل الأصوات بشكلٍ سليمٍ إلى المتعلِّم.
٣. سلامة الموجة الصوتية يعني القراءة التطبيقية لما هو محفوظٌ في الدِّماغ. والتي بها يستطيع المتعلِّم أن يحاكيَ لفظَ المعلِّم . (انظر الصورة رقم٢).
٤. الدراية والعلم بوجوه ما يقرؤه، والتدليل عليه من نصوص الأئمَّة العلماء المعتبرين المشهود لهم بالتحقيق والإتقان، قال الإمام ابن مجاهد بعد أن ذكر أنواعاً من القراء:" ومنهم من فهِم التلاوةَ وعلِم الرِّوايةَ، وأخذ حظّا من الدِّرايةِ من النَّحو واللغة، فتؤخَذ منه الرِّوايةُ ويُقصَد للقراءة"[3].

فإن أصاب المعلِّم إحدى الآفات النُّطقية أو السَّمعية أو الدِّماغية نُظر فيها:

فإن كانت تتعلَّق بالمقاييس المحفوظة بالدِّماغ بأن أصابه نسيانٌ لما قرأ أو شكٌّ بالمحفوظ، فيلجأ إلى أقرانه أو أثبت تلامذته يستذكر منهم ما قرأه على شيخه، ودليلُ ذلك ما ذكره الإمام أبو يوسف الأعشى (ت ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م)، وكان من أجلِّ من قرأ على الإمام أبي بكر شعبة بن عياش (ت ١٩٣ هـ/ ٨٠٩م)

(١) التقريب لحدِّ المنطق ص ٤.
(٢) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ١٣ .
(٣) ابن الجزري، منجد المقرئين ص١٠.

راوي قراءة الإمام عاصم بن أبي النَّجود (ت ١٢٧هـ/ ٧٤٥م)، قال الإمام ابن مهران (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م): "وأجلُّ من قرأ على أبي بكر وأخَذ عنه، وأضبطُهم وأحفظُهم وأتقنُهم لقراءته: أبو يوسف الأعشى... وحدَّثوني عن القاسم بن أحمد قال: قال محمد بن حبيب: حدَّثني أبو يوسف الأعشى، قال: قال لي أبو بكر بنُ عياش: يا أبا يوسف: إني أصلِّي خلف إمامَ بني السيِّد وقد غيَّر عليَّ قراءتي، ولم أعلم أحداً أضبطَ للقراءة منك فاعرِض عليَّ عرضةً. فجلَس في أصحاب الشَّعير، وجلستُ أدرسُ عليه، ومالي حاجةٌ إليه، فقرأتُ عليه والنَّاس يكتبون قراءة عاصمٍ عن أبي بكرٍ من دَرْسي"[١] .

فإن صَعُب الاستذكار بحيث تعذَّر عليه ضبطُ المقاييس المحفوظة لعارضٍ طبيعيٍّ ككِبَر سنٍّ، فعليه قطعُ الإقراء جملةً، ذكَر الإمام الذهبي في ترجمة الإمام قنبل (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٤م) راوي قراءة ابن كثير المكي (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٨م): "ثم إنه طعن في السنِّ وشاخَ، وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين"[٢] اهـ .

وإن أصابته آفة سمعيةٌ بأن تعذَّر عليه سماعُ المتعلِّم فعليه قطعُ الإقراء، وأشكُّ في خبرٍ ذكره أصحاب التراجم عن الإمام قالون (ت ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥م) بأنه أصابه صممٌ شديدٌ، فكان ينظر إلى شفتَي القارئ فيردُّ عليه اللَّحنَ والخطأ[٣]؛ لأن من الحروف ما هو مجهورٌ ومهموسٌ كالذال والثاء، وهما من المخرج نفسه، فكيف يستطيع من به صممٌ التمييزَ بينهما إن لم يسمعهما؟! إلا أن تكون كرامةً خاصةً لقالون، والله أعلم.

وإن أصابته آفةٌ خاصَّةٌ بأعضاء النطق لكبر سنٍّ أو عارضٍ مفاجئٍ، كتلك التي تصيب اللِّسان والأسنان والحنجرة وأعضاء الجهاز التنفسيّ، وكانت تمنعه من النقل الصوتيّ الدقيق لأصوات القرآن الكريم، فإمَّا أن يَقطع الإقراءَ جملةً، أو يَلجأ إلى أثبت طلاَّبه فيجلسه في مجلسه مع حضوره، ويكون هذا الثبتُ قائماً مقامه في عملية الردِّ والتصحيح[٤].

المطلب الثاني: المواصفات المعيارية للطالب المتقن

يمكن تلخيص هذه المواصفات في خمسة شروط:

---

(١) المبسوط ص٤٥. وهناك رواية أخرى بالمعنى نفسه تقريباً ذكرها الذهبيُّ في معرفة القراء الكبار ١/ ٣٣٢ – ٣٣٣: "قال: قال لي أبو بكر، يا أبا يوسف أنا أصلِّي خلف فلان، وهو يقرأ قراءة حمزة. فقد شكَّكَني في بعض الحروف التي أقرؤها، فاعرِض علي عرضةً تكون لك، أتحفَّظُها عنك. قال: فجلس له في أصحاب الشعير فقرأ واجتمع الناس حوله يكتبون الحروف" اهـ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٤٥٠.

(٣) غاية النهاية ١/ ٦١٦.

(٤) فعل ذلك فضيلةُ العلامة المقرئ الشيخ عبد الرزاق الحلبيَّ رحمه الله – شيخُ الجامع الأمويَّ بدمشق – عند كبر سنِّه، في آخر سنتين من حياته، وعجزه عن الردِّ والتصحيح. أوكل بذلك إلى فضيلة الشيخ الجامع المقرئ زياد حوراني حفظه الله، وهو الذي حدَّثني بذلك.

١. سلامة الإدراك السمعيّ للأصوات المستقبَلة من المعلِّم. ومعنى الإدراك هو الوعيُ الصوتيُّ لهذا الحرف وكيفية نطقه.

٢. سلامة أعضاء النطق. بأن تكون خالية من الآفات النطقية والسَّمعية .

٣. القدرة على تقليد الصوت المثاليّ المستقبَل من المعلِّم.

٤. القدرة على تخزين هذه الأصوات في الدماغ.

٥. تحصيل الدراية والعلم بوجوه ما يقرؤه وأدلته من كلام الأئمَّة المشهود لهم بالتحقيق والإتقان.

وبقدر تحقُّق المتعلِّم لهذه الشروط يكون نجاح عملية التلقي والمشافهة . (انظر الصورة رقم٢).

فإن عجَز الطالب عن أداء حرف واحدٍ فقط بسبب عيبٍ خَلْقيّ، أو عادةٍ نطقيَّةٍ متحكِّمة، كحال الألثغ بالراء، وكان يجيد وصفَ الراءِ نظرياً فللمعلِّم أن يجيز قراءته، لكن ينصُّ في الإجازة بأنه يجيد وصف الصَّواب نظرياً، وإن يكن قد تعذَّر عليه عملياً.

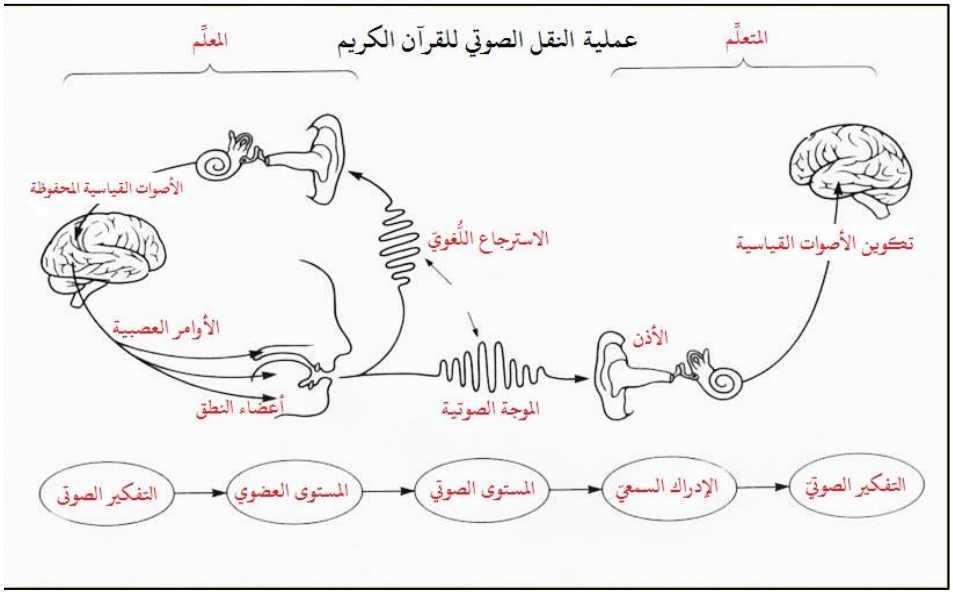

صورة رقم ٢ عملية النقل الصوتي بين المعلِّم والمتعلِّم

ويلزم التنبيه هنا إلى أن هناك فروقاً فردية بين شخصٍ وشخصٍ كجَودة الفك واعتدال اللِّسان، وصحَّة الأسنان[١]، لكن هذه الفروق يلزم أن لا تؤثر في المقاييس والمعايير المتفق عليها بين القراء، ورسول الله صلى

(١) ذكَر الإمام أبو العلاء الهمذانيُّ (ت ٥٦٩ هـ) أموراً يتميز بها بعض القراء عن غيرهم، قال:"وإنِ انضافَ إلى ذلك حُسنُ الصَّوت، وجَودةُ الفكِّ، وذَرابةُ اللِّسان، وصحَّةُ الأسنان،كان الكمال" (التمهيد في معرفة التجويد ل٥٠/ ب).

الله عليه وسلم قد أثبت الفروق الدقيقة بين الصحابة رضوان الله عليهم في قوله: "وأقرؤهم لكتاب الله أبيُّ بن كعب"[١].

والخلاصة أنَّ ميزان القراءة المتقنة يكمن في انضباط المعايير والمقاييس التي تلقاها الطالب من الشيخ المتقن، فإذا أحسَّ المعلم بذلك أجازه، ومعنى أجزتك من المجيز للمجاز: أشهد أن المقاييس الدقيقة التي نقلتُها إليك ولفظْتَ بها في ختمةٍ كاملةٍ هي ذاتُها المقاييسُ المحفوظة التي تلقيتها من مشايخي، وهنا تكمن بركة الإسناد؛ لعظم أمانة التلقي . (انظر الصورة رقم٢)

المطلب الثالث: ثبات الأداء القرآني وتفاوته عبر العصور

أولاً: التطوُّر اللُّغويُّ سنَّة اللُّغات:

التطوُّر اللُّغويُّ ناموسٌ من نواميس الحياة يُصيبُ اللُّغاتِ جميعاً، والإنسانُ ابنُ بيئته يكتسب منها العادات النُّطقية، التي تمكِّنه من التحدُّث بلغته بطلاقةٍ. ولا شكَّ أنَّ اللُّغة العامة واللَّهجة الخاصَّة يمرَّان بسلسلة من التحوُّلات الصوتية والدلالية عبر خطِّ الزمن، نتيجة عوامل متعددة منها: التيسير[٢]، وكثرةُ الاستعمال – وهو أصلٌ كبير من أصول التحوُّل والتغيُّر[٣] – وازديادُ المعرفة والظروف المتغيرة[٤]، والحاجة والاضطرار[٥]، والاحتكاك الذي يحصل بين الشعوب المختلفة، لكنْ هناك من التطوُّرات اللُّغويَّة الفرديَّة ما تأباه الجماعةُ اللُّغوية، ويعدُّونَه من الانحرافات النُّطقيَّة، وهذه الانحرافات إمَّا أن تكون عيوباً في أصل الخِلْقَة كالتأتأة والفأفأة واللُّثغة، ومنها ما يكون عيوباً مكتسبة كالعُجمة أو المخالطةِ بغير أبناء اللُّغة أو غير ذلك من الأسباب. ومهما يكن من أمرٍ لهذه النواميس الطبيعية من تأثيرٍ على الألسنة، فقد حرصت الأمَّةُ – بواسطة القراء المتقنين – على حفظ الكيفية الصوتية المحفوظة بسرِّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩.

---

(١) أخرجه الترمذيُّ في سننه برقم (٣٧٩١)، ج ٥/ ٦٦٥، وقال عنه : حديثٌ حسنٌ صحيح .

(٢) ينظر: الحروف للفارابي ص ١٤٣ – ١٤٤.

(٣) ينظر: الخليل في العين ٤/ ٣١٩ و ٨/ ١٩٢، وسيبويه في الكتاب ١/ ٢٩٥ و ٢/ ١٦٢، والفرَّاء معاني القرآن ١/ ١، والأخفش في معاني القرآن ١/ ٢١٤، والمازني في المنصف ٢/ ٢٢٧، وابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٦١٣، والمبرد في المقتضب ٢/ ١٤٤، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٤٨، وابن السراج في الأصول ١/ ٤٣١، والنحاس في إعراب القرآن ٢/ ١٨٣، والسيرافي في المطبوع من شرح كتاب سيبويه ١/ ٩٣، وقال في الإنصاف ١/ ٧٣: إن أمثلته لا تحصى. والسهيليّ في نتائج الفكر ص ٩٩.

(٤) ينظر: المغني للقاضي عبد الجبار ١٦/ ٩٦.

(٥) ينظر: الغزالي، معيار العلم في المنطق ص ٥٧.

ثانياً : محافظة الأمة على الكيفية الأدائية المحفوظة:

لما كانت الأمة الإسلامية متعبَّدةً بأن تقرأ القرآن العظيم على الكيفية الأدائية المحفوظة التي نزل بها بمضمون قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل: ٤، وكان معنى الترتيل هو معرفة الوقوف وتجويد الحروف[١] حرص القراء المتقنون – على مرِّ العصور – في المحافظة على الكيفيَّة المتلقاة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم.

وكانوا يرَون أن المبتدئ قد اعتادت أعضاؤه النُّطقية على وضعٍ معيَّن (لهجته الخاصة)، فإزاحتُه من هذا الوضع (اللَّهجة) إلى وضع آخر (الأداء القرآني)، ليس بالأمر اليسير، ويحتاج إلى رياضة كثيرة، حتى تعتاد أعضاؤه الوضعَ الجديد، وتصيرَ له تلاوة القرآن طبعاً وسَجِيَّة. وهناك من العلماء من عرَّف التجويد بأنه "مَلَكةٌ – أي كيفيةٌ راسخةٌ في النَّفْس، فإن الكيفيَّة إذا لم تكن راسخةً في النَّفْس لاتُسمى مَلَكة، بل تُسمَّى حالة – يُقتَدر بها على إعطاء كلِّ حرف حقَّه ومستحقَّه"[٢] .

وهنا ينشأ سؤالٌ: إن كانت الصورة الأدائية محفوظةً فلماذا نلحظ التفاوت على بعض ألسنة القارئين؟
يتفاوت الناس في أخذهم للقرآن الكريم بمقدار تشبُّثهم بعاداتهم النُّطقية وتخلِّيهم عنها، وبمقدار هممهم في الطلب والتحصيل والجدِّ والاجتهاد؛ إذ الأصلُ في الصورة الأدائية المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحافِظ عليها القرَّاءُ بأمانة ودقةٍ وينقلونها جيلاً عن جيل؛ لأن القراءة سنَّةٌ متَّبعة[٣]، غير أن قراء القرآن الكريم متفاوتون في حمله وأدائه قوةً وضعفاً، قال ابن الجزريِّ رحمه الله تعالى:"ونقل أبو القاسم الهذليُّ عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال: لا تغترُّوا بكلِّ مقرئ إذ الناس على طبقات:

- فمنهم من حفِظ الآية والآيتين والسورة والسورتين، ولا عِلْم له غير ذلك فلا تؤخَذ عنه القراءة، ولا تُنقل عنه الرواية ولا يُقرأ عليه.
- ومنهم من حفِظ الرِّوايات، ولم يعلَم معانيها ولا استنباطَها من لغات العرب ونحوَها، فلا تؤخَذ عنه؛ لأنه ربما يصحِّف.
- ومنهم من يَعلَمُ العربية، ولا يتَّبِع الأثر والمشايخ في القراءة فلا تُنقَل عنه الرِّوايةُ؛ لأنه ربما حسَّنتْ له العربية حرفاً ولم يَقرأ به، والرواية متَّبعة والقراءة سنَّةٌ يأخذها الآخِر عن الأوَّل.

---

(١) كما فسَّره سيدنا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر : النشر ١/ ٢٢٥ .

(٢) الرومي، شرح رسالة الدر اليتيم ٢٧/ أ .

(٣) "رُوِيَ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ" اهـ . شرح السنة للبغوي (٤/ ٥١٢). وينظر: الداني، جامع البيان ٢/ ٨٦٠ ، وابن الجزري، النشر ١/ ٣٥ .

- ومنهم من فهم التلاوة وعلم الرواية، وأخذ حظّا من الدّراية من النَّحو واللغة، فتؤخَذ منه الرّواية ويُقصَد للقراءة.

قلت [أي: ابن الجزري]: فحسبك تمسكاً بقول هذا الإمام في المقرئ الذي يؤخذ عنه ويقصد"[1].

ثالثاً: أثر التدريبات النطقية في المحافظة على الكيفية الأدائية المحفوظة:

التدريبُ وتصحيحُ النُّطقِ سُنَّةٌ من سُنَنِ العربِ في كلامِها، واهتمَّ علماء البلاغة والبيان بهذا الجانب وبيَّنوا أهميتَه في تحقيق الفصاحة في الكلام، وكانوا يَعْلَمُون أهمّيةَ التدريب النُّطقيّ في الكلام في حفظِ ألسنتهم من التلكُّؤ اللُّغويّ والانحرافِ النُّطقيّ، ويَرَوْنَ أنَّ طولَ الصَّمْتِ يُفسِدُ اللِّسانَ، وأنَّ العضو إذا لم يستعمل سيؤدّي ذلك إلى هزاله وضعفه وضموره، قال الجاحظُ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) مبيّناً أهمّيّة الرّياضةِ النُّطقيَّة:"وطولُ الصَّمْتِ يُفْسِدُ اللِّسان... وإذا تَرَكَ الإنسانُ القَوْلَ ماتَتْ خَواطِرُهُ، وتَبَلَّدَتْ نَفْسُه، وفَسَدَ حِسُّهُ. وكانُوا يُرَوُّونَ صِبيَانَهم الأرجازَ، ويُعَلِّمونهم المناقَلاَت، ويَأْمُرونَهُم بِرَفْعِ الصَّوتِ، وتحقيقِ الإعراب؛ لأنَّ ذلك يَفْتِقُ اللَّهَاةَ ويَفْتَحُ الجِرْمَ.

واللِّسانُ إذا أَكْثَرْتَ تَقْلِيبَهُ رَقَّ ولاَنَ، وإذا أَقْلَلْتَ تَقْلِيبَهُ وأطَلْتَ إسكَاتَهُ جَسَأَ وغَلُظَ. **وأيَّة جارِحةٍ مَنَعْتَها الحركةَ، ولم تُمَرِّنْها على الاعتِمالِ، أصابَها من التعَقُّدِ على حسب ذلك المَنْعِ**"[2].

وأولى أهلُ التجويد التدريبات النطقية العناية الفائقة، ولاحظوا أهمّيّتَها البالغة في تصحيح التلاوة، قال الإمام الدانيُّ (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م): "فتجويدُ القرآن هو إعطاءُ الحروف حقوقَها، وترتيبُها مراتبَها، وردُّ الحرفِ من حروفِ المعجَم إلى مخرجِه وأصلِه، وإلحاقُه بنظيرِه وشَكْلِه، وإشباعُ لفظِه، وتمكينُ النُّطقِ به على حال صيغتِه وهيئتِه، مِن غير إسرافٍ ولا تَعَسُّفٍ، ولا إفراطٍ ولا تَكَلُّفٍ، **وليس بَيْنَ التجويدِ وتَرْكِه إلاَّ رياضةُ مَن تَدَبَّرَه بِفَكِّه**"[3].

وهذا ما جعل إمام الكلِّ وشمس القراء الإمام ابن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م) يقول معلّقاً على كلام الإمام الدانيّ رحمه الله، ومنبّهاً على أهمّيّة التدريب النطقيّ: " ولا أعلمُ سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد،

(١) ابن الجزري، منجد المقرئين ص١٠.

(٢) البيان والتبيين ١/ ١٨٤ .

(٣) التحديد ص ٦٨ .

ووصول غاية التصحيح والتشديد، مثل **رياضة الألسن، والتكرار على اللَّفظ المتلقَّى من فم المحسِن،** وأنت ترى تجويدَ حروفِ الكتابة كيف يَبلُغ الكاتبُ بالرِّياضة وتوقيف الأستاذ.

ولله درُّ الحافظ أبي عمرو الدانيّ – رحمه الله – حيث يقول: ليس بين التجويد وتركه إلا رياضةٌ لمن تدبَّره بفكِّه، فلقد صدَق وبصَّر، وأوجز في القول وما قصَّر.

فليس التجويد بتمضيغ اللِّسان[١]، ولا بتقعيرِ الفم[٢]، ولا بتعويج الفكِّ، ولا بترعيد الصَّوت، ولا بتمطيط الشدِّ، ولا بتقطيع المدِّ، ولا بتطنين الغنَّات[٣]، ولا بحَصْرَمة الرَّاءات[٤]، قراءة تنفِرُ عنها الطِّباع، وتَمجُّها القلوب والأسماع، بل القراءةُ السَّهلة العذبةُ الحُلْوة اللَّطيفة، التي لا مَضْغَ فيها ولا لَوْك، ولا تعسُّف ولا تكلُّف، ولا تصنُّعَ ولا تنطُّعَ، لا تخرج عن طباعِ العرب وكلام الفصحاء بوجهٍ من وجوه القراءات والأداء"[٥].

ووصَف ابنُ البنَّاء البغداديُّ (ت ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م) الهيئةَ المحمودة والطريقةَ المقصُودةَ في الأداء، فقال:"أحمدُ الأشياءِ عاقبةً، وأسدُّها ثاقبةً، وأعدلُها طريقةً، وأجملُها خليقةً، هو المضيُّ على سننٍ واحدٍ يَقْبَلُهُ الغائبُ والشاهِدُ:

لا تمضيغَ ولا تَضْجِيع، ولا تَمْطِيطَ ولا تقطيع، ولا عُلُوَّ صوتٍ ولا خُفُوت، ولا خروجَ من نُطقٍ إلى سُكُوت"[٦].

وذكر ابنُ البنَّاء أنَّ الطريقة المحمودة في القراءةِ هي إمَّا بالطَّبعِ أو الاكتساب، والاكتسابُ يكونُ بمجالسةِ القرَّاء، والرِّياضةِ بمجالِس العلماء، والسماعِ ممَّن وُهِبتْ له تلك الطريقةَ المحمودةَ[١].

---

(١) هو المبالغة والتكلُّف في إخراجِ الحروف؛ لأنَّه في مقابلِ اللَّوك، وهو أهْوَنُ المضْغِ. ينظر : المصطلحات الصوتية في التراث اللغويّ عند العرب ٢/ ٩٥٤ .

(٢) هو التكلُّف والتزيُّد في الكلام، ويأتي على معانٍ أخرى أيضاً. ينظر : المصطلحات الصوتية في التراث اللغويّ عند العرب ١/ ٥٧١ .

(٣) بيَّن الإمام القرطبيُّ المقصود من التطنين في النُّون، بقوله:"ويَنبَغِي أن يُجتنَبَ فيها الطنينُ، وهو أن يُلحَقَ بها إذا سكَنَتْ وأُظهِرَتْ صَوْتٌ يُضاهِي صَوتَ الصَّنْجَةِ تُلْقَى في الطَّسْت"(الموضح ص١٢٠). وأغلبُ الظنِّ أنَّهم يقصدون بهذا المصطلح النَّهيَ عن التلوينِ الصَّوتيّ في الغُنَّة، أي الانتقال من طبقة صوتيَّة إلى أخرى أثناء التلفُّظ بالنُّون والميم الساكنتَين والمشدَّدتين. ينظر : المصطلحات الصوتية في التراث اللغويّ عند العرب ١/ ٣٧٤ .

(٤) والحُصْرم أوَّلُ العنب، ويكون يابساً وفيه حموضة، وهو مجازٌ، وأظن أنه يعني ألا تكون الراءُ شديدةً؛ لأنها حرف متوسِّطٌ يجري فيه الصوتُ زماناً. بدليل قول ابن الجزريّ في النشر (١/ ٢١٩): " فَيَأْتِي بِهَا مُحَصْرَمَةً شَبِيهَةً بِالطَّاءِ" اهـ .

(٥) النشر ١/ ٢١٣.

(٦) بيان العيوب ص ٣٩ .

رابعاً : العيوب التي يلزم اجتنابها عند القراء:

اهتمت المعارف العربية الإسلامية بوصف عيوب الكلام واضطراباته عموماً، **فالأطبَّاءُ** اهتمُّوا بالعوامل العضويَّة التي تصيب الجهاز النُّطقيَّ، وكيفية مداواتها العلاجية، وعيوب الكلام عندهم تحدث نتيجة: **أورامٍ تصيب الدِّماغ** ممَّا قد ينتج عنه التلكُّؤ النطقيُّ في الكلام. أو إلى **أمراضِ اللِّسان:** وتَرجع إلى تشنُّجٍ عصَبه، أو خللٍ في أصل الخِلْقة، أو نتيجةِ ضربةٍ أو سقطةٍ أدَّت إلى تضرُّرٍ أو قَطعِ عصَب اللِّسان. وربَّما تَرجِعُ إلى أورام أو قروحٍ فيه، أو استرخاء أو تشنُّجٍ في عضلته، أو قِصَر الوتَرة التي تحته، أو تشوُّهه كعِظَمه أو قِصَره[٢]، أو إلى **أمراض اللَّهاة،** وقطعها نتيجة إصابتها بحادثة أو جراحة[٣]، أو إلى **أمراضِ الحَنجرة،** وترجِع إلى: آفةٍ تَحدُث في عضَل الحنجرة، كابتلالها عقب النزلات، أو لورمٍ فيها، أو عَقِب الصياح، أو آفةٍ تحلُّ بالعصَب، نتيجةَ جراحةٍ، أو لضربةٍ وسقطةٍ عليها[٤]. أو إلى **أمراضِ الجهاز التنفُّسيّ،** لعلَّةٍ في عضَل التنفُّس، أو الرِّئة وقصَبتها[٥]. أو إلى أمراضِ الأسنان، كقَلْعِ الأضراس، أو انكسار الثنايا[٦].

واهتمَّ الموسيقيُّون بعيوب الحَنجَرَة والخُلُوق والنَّفَس لتأثيرها المباشر على الصَّوت وصنعةِ الغِناءِ[٧].

وأما علماء اللُّغة والبلاغة والتجويد والقراءات، فقد اهتمُّوا بوصف عيوب الجهاز السَّمعيّ والكلاميّ، سواءٌ أكانت عيوباً خَلقيَّة، أو مكتسَبة، أو خارجةً على الخطِّ الأدائيّ الذي كانت تتكلَّم به العربُ وقت نزول القرآن، وقد اهتموا . وخاصةً المجوِّدون منهم . بالتمرينات والتدريبات النُّطقية التي تساعِد على تصحيح الكلام كما تقدم الحديث عنه في النقطة السابقة .

وذكَر ابن البنَّاء البغداديُّ عدَّة عيوبٍ – فعلها بعض قراء زمانه، ويفعلها بعضُ قراء زماننا – يَلزَمُ القارئ أن يَحترِزَ عنها عند أداء القرآن، منها ما هو أدائيٌّ صوتيٌّ، ومنها ما هو حركيٌّ حسِّيٌّ، ونبَّه على أنَّ هذه العيوبَ قد "كرهها العلماءُ بالقراءةِ وذَوُو المعرفةِ بالأخذِ، وذكَروا فيها التصانيفَ، وناهيك بصاحِبنا أبي

---

(١) بيان العيوب ص ٤٠ .

(٢) انظر: رسالة في اللُّثغة للكنديّ ص ٥٣١. وكامل الصناعة الطبية ١/ ٤٦ .

(٣) التصريف لمن عجَز عن التأليف ١/ ٢٥. ويبدو أنهم يقصدون باللَّهاة الحنكَ اللَّحميَّ (صفاقَ الحنك) والإضرار به، لا اللَّحمة المسترخية على الحلق؛ إذ لا يضرُّ قطعها بالصوت. (ينظر في هذه النقطة كتاب: المصطلحات الصوتية في التراث اللُّغوي عند العرب ١/ ١٥١)

(٤) الحاوي للرازي ٣/ ١٧٠ .

(٥) الحاوي في الطب للرازي ٣/ ١٧٠ .

(٦) البيان والتبيين ١/ ٤٧ .

(٧) حاوي الفنون ص ٤٩ – ٥٥.

الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن المنادي (ت ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م) فإنَّهُ أخَذَ من الحظِّ الأوفرِ والنَّصيبِ الأكثرَ"[١].

قال ابن البنَّاء:"وأمَّا عيوبُ الأصوات التي يَجبُ أن يجتنبَها، فمن ذلك:

١. الجهرُ الصَّاعِق.
٢. والغَضُّ الزَّاهِق.
٣. واستكدادُ الصَّوتِ حتى يَنقَطِع، ونقلُهُ من حالٍ إلى حالٍ في تباعُدِ الانتقال، وربَّما أفضى به ذلك إلى اختلاجِ الصَّدر والكتِفَين، وتغيُّر اللَّون والعين، وتَدِرُّ عروقُه، وتَفسُدُ حروفُه"[٢].
٤. "استراطُ الرِّيق.
٥. إخراجُ الصَّوتِ من قصبةِ الحلْقِ مختلَساً إلى (الرَّفَه)" [٣].

ثمَّ ذكَر ابنُ البنَّاء عيوبَ الهيئاتِ تحت باب: (العيوب الفَظِعة في النَّفْس التي يَجِبُ أن يَجتنبَها القارئ حين القراءة والدَّرْس)، قال: "من ذلك:

١. تحريكُ الرَّأس عن يمينٍ وشمالٍ، كالالتِفاتِ، أو تَحريكُهُ بِزَعْزَعَةٍ مِن سُفْلٍ إلى عُلْوٍ أو عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، كالإيماءِ بنَعَمْ ولا في المخاطَبات.
٢. ومنه عُبُوس الوَجْهِ وتَقطيبُه.
٣. وتَصغيرُ العَينَين.
٤. وتَعَالي أعالي الخدَّين.
٥. وتَلْوِينُ الحاجِبَين.
٦. وتَعْوِيجُ الشفتَين.
٧. وإقامةُ العنُقِ وإحناؤه بما يَخرُجُ عن العادة المألوفة والشاكِلة المعروفة.
٨. والزَّحْفُ والتنقُّلُ مِن جِلْسَةٍ إلى خلافِها كثيراً.
٩. والعَبثُ بالأصابعِ والشَّعَر"[٤].

---

(١) بيان العيوب ص ٣٩ .
(٢) بيان العيوب ص ٣٧ .
(٣) بيان العيوب ص ٣٨ .
(٤) بيان العيوب ص ٣٦ .

أمَّا أبو العلاء الهمَذانيُّ (ت ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م) فقد عابَ بعضَ قُرَّاءِ عصْرِهِ الذين نعَتَهم بالمتَكَلِّفين، مِمَّن يَظنُّون أنَّهم يُجوِّدون القرآن بالقيام بحركاتٍ حسِّية ونُطقيَّة ليست من التجويد في شيء، قال:"ثمَّ إنِّي أَلْفَيتُ جماعةً من المتكلِّفِين من قرَّاء زماننا قد اعتَمدوا في حِفظِ القرآن على المصحفِ، وفي علومه على الصُّحُفِ، فالمتناهي منهم إذا **حرَّكَ رأسَهُ، وضَيَّقَ عند القراءة أنفاسَهُ، ودَرَّتْ أَوْدَاجُه، واحتَدَّ مزاجُهُ،** وأفْرَطَ في الحركاتِ، ورَعَّدَ المدَّاتِ، وغَلَّظَ الرَّاءاتِ واللاَّماتِ، يَرى أنَّه قد بالَغَ في تجويدِ القراءةِ وترتيلِها وتحقيق التلاوةِ وترسيلِها"[١].

والخلاصة أن الذي يتميَّز به علماءُ التجويد عن سابقِيهم من علماء العربية هو تنبيهُهُم على العيوبِ النُّطقيَّة التي تَجري بها عاداتُ الناس اللُّغويَّة عند قراءتِهم لكتاب الله تعالى، وكذا تنبيهُهُم على الاحترازات النُّطقية التي يَجبُ استعمالُها حتى لا يَقَع الإنسانُ في تلك العيوب، ومن هنا كانت حياةُ علم التجويد إلى عصرنا هذا، فكلُّ عالمٍ كان يَرصُدُ الأخطاءَ الأدائيَّة التي تَجري في عصرِه مِن قِبَلِ متعلِّمي القراءة، ويَصِفُ الدَّواء الشَّافِيَ لها. وهنا ملاحظة مهمَّة يلزم التنبيه لها، وهي أنه كلَّما تحكَّمت عادات الناس النطقيَّة بصوتٍ ما، وخرجت عن الخطِّ الأدائيِّ المعياريِّ للقرآن الكريم كلَّما زادت عناية القراء برصد هذا الانحراف والتنبيه على كيفية الاحتراز منه، ولعلَّ قضيَّة مثل قضية الضاد وانحرافها على ألسنة الناس شغلت علماء العربية والتجويد منذ عهد سيبويه[٢] إلى عصرنا هذا، **وعلى قدْر الدَّاء يأتي الدواء** .

ومن أمثلة ذلك الرَّصد ما نقله الإمام ابن غازي – في شرحه للمقدِّمة الجزرية للإمام ابن الجزريّ، وبعد تعداده للانحرافات الأدائيَّة في نطق الضاد – مِن مشاهداته لبعض من ينطق بالضاد نوناً مفخَّمة، وأنه لم يكن موجوداً في زمن ابن الجزريّ، قال ابن غازي (ت١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م): "اختلفت ألسنةُ النَّاس في النُّطق بها، فمنهم من يخرجها من غير مخرجها، فيبدلها طاءً، ومنهم من يبدلها لاماً مفخمة، ومنهم من يخرجها ظاءً مطلقاً؛ لأنها تشاركها في الصفات وتزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاءً، ولهذا حذَّر الناظم[٣] من إخراجها ظاء فقط، فإنه الغالب، ولهذا لو أبدل ضاداً بظاءٍ في الفاتحة لم تصحَّ قراءته لتلك الكلمة. ومنهم من يَمزجه بالدَّال، ومنهم من يُشِمُّه الزَّاي، ومنهم من يَشُوبها بالظَّاء المعجَمة، وادَّعى أن هذا هو مخرجها، وأنه صوابٌ. وهو خطأٌ منه محضٌ لا يجوز أن يؤخَذ به،

---

(١) التمهيد في معرفة التجويد ص ١٣٠ .

(٢) منذ تصنيفه للضاد الضعيفة ضمن الحروف الفرعية التي لا تستحسن في تلاوة القرآن والأشعار، وفي حديثه عن إبدالها لاماً في باب ما ما كان شاذًّا ممَّا خفَّفوا على ألسنتهم وليس بمطَّرِدٍ . (الكتاب ٤/ ٤٣٢ و ٤٨٣).

(٣) أي ابن الجزري لأنه يشرح مقدِّمته.

وقد غفَل عن مخرجها، والاستطالة التي فيها. **وقد شاهدْنا من يخرجها نوناً مفخمة. وكان هذا لم يكن موجوداً في زمن الناظم**، وكلُّ ذلك لا يجوز"[1].

المبحث الثاني: المتغير في علم التجويد (توصيف الأئمة للظواهر الأدائية)

المطلب الأول: أهمية نصوص كتب التجويد الأصيلة في ضبط عملية الأداء

تكمن أهمية النصوص في أمور عدة، أهمها: الاطمئنان إلى سلامة الرواية المنقولة، والتعليل لها، والنظر إلى تعدُّد الفهوم تجاه الظاهرة الأدائية والاستفادة منها.

وتنقسم المعارف العلمية في كتب علم التجويد والقراءات إلى قسمين:

القسم الأول : قسمٌ خاصٌّ بتوصيف الرِّواية والأداء وذكر الأسانيد، وهو رافدٌ مهمٌّ للتلقِّي المنطوق، ويمكن إلحاقُه به والحكمِ عليه بأنه من الثابت في علم التجويد. وهو الذي يَرجِع إليه القرَّاءُ في ترجيح الأداء عند الاختلاف ، ويتضمَّن هذا القسم عدة صور خاصَّة بالأداء، منها:

أولاً: ما الحكم إذا اختلف أداءان في وجه من أوجه القرآن العزيز، وكلُّ واحد منهما يقول لصاحبه: "هكذا قرأتُ"؟

الحكمُ حينئذ أن ينظر إلى أمرين: شهرةِ وجهٍ أدائيٍّ دون الآخر. والثاني: شهرة النُّصوص الأصيلة التي تَنصُر أحد الأداءين فيؤخذ بها. ولا يَكفي القارئ أن يقول: "هكذا قرأتُ" حتى يكون كلامُه صواباً، بل لا بدَّ أن يُساعِدَهُ النصُّ في ذلك، عملاً بكلام الإمام الجليل مكيّ بن أبي طالبٍ القيسيّ (ت٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م)، قال:"وما نُقِلَ بتلاوةٍ ولم يُؤَيِّدْهُ نصُّ كتابٍ، فالوهْمُ والغَلَطُ مُمْكِنٌ مِمَّن نقَلَهُ، إذ هو بَشَرٌ، وإنَّما تَعَلَّقَ القُرَّاءُ بنصوصِ الكتب؛ لأنَّها عندهم أثبَتُ في الحِفظ، لأنَّ الحِفظَ يَدْخُلُه الوهمُ والشكُّ، فليس روايةٌ يَصْحَبُها النَّقْلُ والنصُّ في الكتبِ من تأليف المتقدِّمين والمتأخِّرين مثلَ روايةٍ لا يَصْحَبُها غير أن يقولَ ناقِلُها: كذلك قرَأتُ، ولا يَدْخُلُ قَولُهُ بنصِّ كتاب"[2]. فإن وافقت النُّصوصُ الأداءَين معاً، فيمكن أن يكون من الخلاف الجائز المقبول.

ثانياً: ما الحكم إذا خالف النَّصُّ الأداءَ المتَّفق عليه بين القراء، أيُّهما المعتبَر؛ النَّص أم الأداء؟

---

(١) الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية ١٣٠/أ.

(٢) تمكين المد ص٤٧ – ٤٨ .

الأداءُ القرآنيُّ هو المعتبَر والمعتدُّ به، والنُّصوصُ تابعةٌ له، **ولا يُستنبَطُ أداءٌ غيرُ مقروءٍ به من نصٍّ**، فلو وُجد أداءٌ منقولٌ متفقٌ عليه بين المشايخ وخالفَه ظاهرُ النُّصوص، فالحكمُ للأداء وتؤوَّلُ النُّصوصُ أو تُرَدُّ إذا لم يوجد للتأويل سبيلٌ . ودليل ذلك ما قام به الإمام ابن الباذِش (ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م) من تأويله لما ورد في بعض نصوص الأئمَّة من أن الإمامَين عاصماً وحمزةَ يدغِمان النون الساكنة والتنوين في الميم بغير غنة، وهو مخالفٌ لنطق سائر أهل الأداء، قال ابن الباذش: "فأما إدغامُها في الميم فلا بدَّ من الغنة، إلا ما جاء عن عاصم وحمزة أن النون الساكنة والتنوين يدغَمان عند الميم بغير غنَّة. فحدَّثنا أبو داود، حدَّثنا أبو عمرو، حدَّثنا أبو مسلم، حدَّثنا ابن مجاهد قال: لا يَقْدِرُ أحدٌ أن يأتي بـ ﴿عَن مَّن﴾ بغير غنة؛ لغلَبة غنَّة الميم، يعني: المنقلبة. وحدَّثنا أبو القاسم قال: حدَّثنا أبو معشر، حدَّثنا أبو عبد الله الجرجاني، حدَّثنا الخزاعيُّ، قال: واتَّفقوا على إظهار الغنَّة عند الميم، واختُلف عن بعضهم، ولا ينطاع اللِّسانُ إلا بما عليه الجماعة.

قال أبو جعفر [يعني ابن الباذش معلِّقاً ومؤوِّلاً]: الحكايةُ عن عاصمٍ وحمزةَ ظاهرُها الغلَطُ، إلا أن توجَّه على أن المعنى: بغير غنَّة للنون والتنوين، وإنما الغنَّة للميم التي أُبدلا إليها بحقِّ الإدغام، وذلك أن الخلاف بين أهل النظر في هذا الموضع موجودٌ، فذهب ابنُ كَيسان وابنُ المنادي وابنُ مجاهد في أحد قولَيه إلى أن الغنَّة للنُّون والتنوين، وذهب الجمهور إلى أن الغنَّة للميم، وهو قول أبي -رضي الله عنه- وهو الصواب"[1] اهـ .

والقسم الثاني: قسمٌ خاصٌّ بتوجيه القسم الأول، والكشف عن معانيه، وما يرفد ذلك من علوم متصلة به كالنحو والصَّرف واللغة وما يتعلَّق به بسبب من علوم القرآن... إلخ، وهو الذي يتغير بتغير نمطية العصر وثقافته وانفعال الناس تجاه القسم الأول، قال ابن الباذِش عن القسم الثالث من الإدغام مفرِّقاً بين الصورة الأدائية والتوصيف:" وهذا الباب طريقُه الرِّواية، وإنما يرتدف التعليلُ على مرويٍّ"[2].

المطلب الثاني: تفاوت عبارات المصنِّفين في كتبهم

يتفاوت توصيفُ الصورةُ الأدائيةُ في عبارات المصنِّفين قوة وضعفاً؛ لأنَّ ملكاتِ الناس وفهومَهم تختلف إزاء الظواهر التي ينفعلون تجاهها. ومن هنا أجاب الخليل بن أحمد الفراهيديُّ (ت ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م) عن سؤال وجِّه إليه عن العلل التي يذكرها في كلام العرب مقرِّراً قابليةَ التفاوت في التوصيف، قال السُّيوطيُّ:" وذكر

(١) ابن الباذش، الإقناع ١/ ١٠٣ .

(٢) الإقناع ١/ ١٩٤ .

بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد – رحمه الله – سُئل عن العلل التي يَعتلُّ بها في النَّحو، فقيل له: عن العرب أخذتَها أم اخترعتها من نفسك؟

فأجاب رحمه الله: إن العرب نطَقتْ على سجيَّتها وطباعها. وعرفَتْ مواقع كلامها، وقام في عقولها عللُه، وإن لم يُنقل ذكرٌ عنها. واعتللتُ أنا بما عندي أنه علَّة لما علَّلْته منه. فإن أكن أصبتُ العلَّةَ فهو الذي التمستُ، وإن تكن هناك علَّة له.

فمثَلي في ذلك مثلُ رجلٍ حكيمٍ دخل داراً مُحكَمة البناء، عجيبةَ النظم والأقسام، وقد صحَّت عنده حكمةُ بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلَّما وقَف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسببِ كذا كذا؛ سنَحتْ له بباله محتملةً لذلك، فجائزٌ أن يكون الحكيمُ الباني للدار فعَل ذلك للعلَّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعَله لغير تلك العلة. إلا أن ذلك مما ذكَره هذا الرجلُ محتملٌ أن يكون علَّة لذلك، فإن سنح لغيري علَّة لما علَّلْته... هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها"[(١)].

ومن أجل هذا يَلجأ المحقِّقون إلى اختيار كتبٍ بعينها اشتهر أصحابها بالدقَّة والضبط والأمانة والنقل الصحيح في التوصيف؛ لتكون مراجع في هذا العلم، كما سيأتي في المطلب القادم .

المطلب الثالث: منهجية الاستمداد من مصنَّفات علم التجويد

المقصد الأول : ما العوائق التي تمنع من قراءة الكتب التجويدية التأصيلية؟

هناك عوائق متعددة تمنع طلاب العلم من قراءة الكتب الأصيلة، منها:

١. ضعف الهمة، والاكتفاء بملخَّصات العلم ومختصراته، قال الإمام ابن الجزري رحمه الله: "الهمَمُ القاصرةُ تصيِّرُ سائرَ العلوم داثرة"[(٢)].
٢. ضعف الملكات باللغة العربية والتجويد. والعجب في أمر بعض الباحثين والطلاب في عدم التفرقة بين الأصيل والدخيل، وبين الغثِّ والسمين، وبين المكين والمتهافت. كالفرق بين الرسَّام البارع في نقل

(١) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو ص٢٧٣.
(٢) منجد المقرئين ص٧.

الصورة والرسَّام الهاوي، فتجد بعض طلاب العلم ينقلون معلوماتهم التجويدية من كتب غير موثوقة في معلوماتها ومصادرها. ومع الأسف الشديد أصبح من شدا شيئاً من العلم يرى نفسه أهلاً للتأليف فيه.

٣. صعوبة مصطلحات كتب التجويد ودلالتها؛ ممَّا يستلزم تبسيطها بلغة تناسب نمطية العصر.

٤. استطراد بعض الكتب الأصيلة في بعض المسائل، كالمسائل النحوية والصرفية، أدَّى إلى عزوف بعض طلاب العلم عن قراءتها.

المقصد الثاني: ما المنهجية المقترحة للاستمداد من مصنَّفات علم التجويد، ومعالجةِ العوائق التي تمنع من الاستفادة منها ؟

يقترح الباحث اختيارَ نخبةٍ من كبار القراء المتقنين والعلماء المحقِّقين يقوم منهجها على ما يأتي :

أولاً : اختيارُ كتبٍ أصيلةٍ في الفنِّ اشتَهر أصحابُها بالدقَّة والضبط والأمانة والنَّقل الصحيح في التوصيف، سواء أكان ذلك في القسم الخاصِّ بتوصيف الرِّواية والأداء وذكر الأسانيد، أو القسم الخاصِّ بتوجيه القسم الأول، والكشف عن معانيه، لتكون مراجع يرجع إليها طلاب العلم، ويستقون منها بغيتهم.

والأسوة في ذلك مثلاً ما فعله أئمَّة العربية والتجويد من تقديمهم كلام سيبويه على غيره فمن أمثلة ذلك ترتيبُه لمخارج الحروف وصفاتِها، قال ابن جنِّي:"فهذا هو ترتيبُ الحروفِ على مَذاقِها وتَصَعُّدِها... ممَّا رتَّبه سيبويه وتلاه أصحابُه عليه، وهو الصَّوابُ الذي يَشْهَدُ له التأمُّلُ بصحَّتِه"[(١)]. وقال الدانيُّ:"اعلموا أنَّ قُطْبَ التجويدِ ومِلاكَ التحقيقِ معرفةُ مخارجِ الحروفِ وصفاتِها التي بها يَنفَصِلُ بعضُها من بعضٍ وإن اشتركَ في المخرج. وأنا أذكُر ذلك على مَذْهَب سيبويه خاصَّةً؛ إذ هو الصَّحيح المعَوَّلُ عليه، إن شاء الله تعالى"[(٢)]. وقال القرطبيُّ:"أمَّا تحقيقُ ذواتِها وذِكْرُ مخارجِها، وتبيينُ أجناسِها، وذِكرُ مراتِبها في الاطِّرادِ فنذكُرُهُ على ما ذَكَرَهُ سيبويه ـ رضي الله عنه ـ ورتَّبَه... وتلاهُ أصحابُه وغيرُهم من المتأخِّرينَ عليه؛ لأنَّه المعتمَدُ"[(٣)].

ثانياً : تجمع المعارف التي وصَّفت الرِّواية والأداء والأسانيد في هذه الكتب، وترتَّب زمنياً كالآتي:

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٥ – ٤٦ .

(٢) التحديد ص ١٠٢ .

(٣) الموضح ص٧٧ .

أ- **التوصيفات المتفقة وشروحاتها.** وهو أحد مرجّحات الاختيار عند أكثر القراء المحقّقين، إذ كثيراً ما يكون الحسمُ في النُّصوص لما عليه أكثر القراء أو الجمهور أو الجماعة[١] .

ب- **التوصيفات المنفردة وشروحاتها وعلَّة الانفراد إن وجدت،** فربما تكون من سهوٍ أو خطأٍ أو سبق قلمٍ، قال الإمام ابن الجزريّ رحمه الله: "والسَّهوُ قد يكون في الخطِّ، وقد يكون في اللَّفظ، وقد يكون في الحفظ"[٢]. فهذه التوصيفات المنفردة – إن لم تعضّد ما عليه الجماعة – لا يسلَّم بها، وقد قال الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى: " فغير مسلَّمٍ أنَّ رواية شخصٍ انفرَد بها عن الجمّ الغفير تقضي عليهم مع إعلال الأئمَّة لها وردِّها"[٣].

ج- **المصطلحات أو اللُّغة المستعملة ودلالاتها.** وهذه نقطةٌ في غاية الأهمّيّة، إذ يلزم قراءة مصطلحات النصوص ودلالاتها في عصورها؛ وخاصة فيما يتعلَّق بتوصيف الأوجه الأدائية (الثابت في التجويد)، من أمثلة ذلك: مصطلحُ "التشديد"، إذ الشائع استعمالُه بمعنى الإدغام، لكن بعضَ المتقدِّمين قد استعملَه بمعنى المتحرّك من الحروف. حكى الدانيُّ في الكلمة القرآنية ﴿وَتَعِيَهَا﴾:"وروى سليمانُ بنُ منصورٍ عن سُلَيم: التاءُ: نصبٌ، والعينُ: خفضٌ، والياءُ: نَصْبٌ **مشدَّدَة.** قال الدانيُّ: والتشديدُ الذي هو إدخالُ حرفٍ ساكنٍ في حرف متحرّك، ورفعُ اللِّسان بهما رفعةً واحدةً لحنٌ. وقد يَجوز أن يُراد به ههنا تحريكُ الياء، على الاتساع والمجاز، كما قال يونسُ عن وَرْشٍ عن نافع في قوله: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾ و ﴿يَوْمَ ظَعَنِكُمْ﴾: **مشدَّدة.** وقال هشامٌ عن ابن عامر: ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾ و ﴿تِسْعَة عَشَر﴾: **مشدَّدَة،** يريدان: حركةَ العين. وإذا أريد به ذلك صار اختلافاً في العبارة لا اختلافاً في القراءة"[٤].

ومن أجل هذا الاختلاف في دلالة العبارات وغيرها نبَّه الدانيُّ على ذلك بقوله:"وذلك كلُّه من الاتّساعِ الذي قد يَغْلَطُ في تأويلِهِ وكيفيَّةِ حقيقَتِهِ كثيرٌ من الناسِ، لخُروجِهِ عن الاستعمالِ والعادَةِ، **فلا يَنبَغِي لذي لُبٍّ وفَهْمٍ أن يَجعَل اختلافَ ألفاظِ النَّاقِلين في هذا ونحوِه اختلافاً في القراءة، ولا سِيَّما إذا احتَمَل التأويلَ، بل يَلْزَمُ رَدُّهُ إلى الإجماع،** وبالله التوفيق"[٥].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: الداني، جامع البيان ١/ ٢٧٣، و٣٩٥ و ٤٠٥ و٤١٥ وغيرها. والهذليّ، الكامل ص٥٣٤، و٥٥٠ و٥٥٨، وغيرها، والواسطي، الكنز في القراءات العشر ١/ ١٩٥ و٢٠١ ، وابن الجزري، النشر ١/ ٣٩٩ و٤٨٦ و ٢/ ١٧٥ وغيرها.

(٢) النشر ١/ ٢٨٣.

(٣) النشر ٢/ ١٧٧. قال ذلك الإمام ابن الجزريّ في معرض ردّه على الإمام أبي شامة لما ذكر أنَّ روايةً انفرد بها بعض الأئمَّة تقضي على جميع الروايات المنقولة عن أكثر القراء.

(٤) جامع البيان ل ٢٣٨/ أ.

(٥) جامع البيان ل ٢٣٨/ أ.

ثالثاً: يختار من الكتب الحديثة ما يساعد على شرح كلام هؤلاء الأئمة وتفنيده والبناء عليه، ولا يجوز أن يُجمَع بين صاحب المائدة والمقتات عليها في التوصيف، ولا إلى الفرع مقارناً بالأصل، فلا يقال مثلاً نظر سيبويه و(سين) من المعاصرين في هذه المسألة.. إلا إن كان المتأخر يملك مؤهِّلات المتقدِّم وشروطه فيوضِّح غامضاً في توصيف المتقدم أو يلخِّصُه أو يُجْمله أو يبيّن حدوده المعرفية، أو يضيف إضافةً معرفية حول المسألة باستنباط صحيح وحجة واضحة.

والأدب مع العلماء مطلوبٌ، والتقرب إلى الله بمحبتهم مرغوبٌ، لكن مناقشة آرائهم والاحتجاج لهم أو عليهم مع الاستدلال، مع كامل الأدب والتوقير لهم لا ينافي الأدب، بل هو من خصائص حياة العلم وتقدُّمه، وإلا جمد العلم وبقي محصوراً في مسائل تلوكها الأجيالُ بفهْمٍ وبلا فهْمٍ.

ودليل ذلك كلامُ إمام من أئمَّة العربية يؤصِّلُ لنا هذا المنهج الدقيق، قال ابن جنيّ في: "**فكلُّ من فُرِقَ له عن علَّةٍ صحيحةٍ، وطريقٍ نَهْجَةٍ كان خليلَ نفسه، وأبا عمرو فِكْرِه**. إلا أننا – مع هذا الذي رأيناه وسوَّغْنا مرتَكِبَه – لا نَسمحُ له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدَّم نظرُها، وتتالتْ أواخرَ على أوائل، وأعجازًا على كلاكل، والقومِ الذين لا نشك في أن الله – سبحانه وتقدست أسماؤه – قد هداهم لهذا العلم الكريم، وأراهم وجه الحكمة في الترجيب [التوقير] له والتعظيم، وجعله ببركاتهم، وعلى أيدي طاعاتهم، خادمًا للكتاب المنزل، وكلام نبيه المرسل، وعَونًا على فهمهما، ومعرفة ما أُمر به أو نُهي عنه الثقلان منهما، إلا بعد أن يناهضَه إتقانًا، ويُثَابتَه عِرفانًا، ولا يُخلِدَ إلى سانِحِ خاطِرِه، ولا إلى نَزْوَةٍ من نَزَوَات تفكُّره. فإذا هو حذا على هذا المثال وباشر بإنعام تصفُّحه أحناءَ الحال [أي: استغرق المسألة من جميع جوانبها] أمضى الرأي فيما يريه الله منه غيرِ معازٍّ به، ولا غاضٍّ من السلف –رحمهم الله– في شيء منه. فإنه إذا فعل ذلك سُدِّد رأيُه، وشُيِّع خاطرُه، وكان بالصواب مَئِنَّةً [أي: جديراً به]، ومن التوفيق مَظِنَّةً، وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ما على الناس شيءٌ أضرَّ من قولهم: ما ترك الأوَّل للآخر شيئاً"(١).

رابعاً : صياغة أهمِّ ما تضمَّنته هذه الكتب من معلومات خاصَّةٍ بتوجيه القسم الأول (الخاصِّ بالرِّواية والأداء)، والكشف عن معانيه بعبارة حديثة؛ لأنَّ ما يصحُّ في عصرٍ من معطياتٍ ربما لا يصحُّ في عصرٍ آخَر، وعلى الدارس أن يقرأ المعلومات في عصورها ويبني عليها ويستفيد منها ويلبسها الثَّوب الذي يناسب نمطية عصرِه، وفي هذا يقولُ ابنُ رشيقٍ القيروانيُّ:"قد يُخالَف القديمُ إلى ما هو أَلْيَقُ بالوقت وأشْكَلُ

(١) الخصائص ١/ ١٩٠.

بأهله"[1]. فنحن لا نستطيع أن نلوم العصور القديمة بعدم وجود حواسيب آلية عندها؛ لأن هذا من معطيات عصرنا ونمطيَّته.

خامساً : الاستفادة من معطيات العصر الحديث ومعلوماته في توجيه الكيفية الأدائية المحفوظة، كاللَّوحات التي قدِّمت في مخارج الحروف وصفاتها مثلاً.

وأخيراً لعلَّ هذه المنهجية المقترحة تساهم في وضع لبناتٍ لبناء علم تأصيليٍّ معاصر على أسس علمية واضحة متفق عليها بين الباحثين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة وأبرز النتائج

بعد هذا التطواف في الثابت والمتغير في علم التجويد، أظهر البحث ما يأتي:

١. النَّقل الصَّوتيّ للقرآن العظيم الذي يقوم به السادة القراء المتقنون – على مرِّ العصور – هو خصِّيصةٌ من خصائص هذه الأمة، وأساس متينٌ وركن مكينٌ في حفظ أصوات القرآن وحمايتِها على الكيفية المتلقَّاة من الحضرة الأفصحية النبوية صلى الله عليه وسلَّم.
٢. الثابت في علم التجويد هو الذي تقوم عليه عملية التلقِّي للقرآن الكريم والمشافهة به بين المعلِّم والمتعلِّم، والمعايير الموزونة التي ينقلها المعلِّم إلى المتعلِّم .
٣. هناك مواصفات معيارية يلزم تحقُّقها في الشيخ المتقن، والطالب المتقن، والإجازة المتقنة.
٤. الناس يتفاوت أخذهم للقرآن الكريم بمقدار تشبُّثهم بعاداتهم النُّطقية وتخلِّيهم عنها، وبمقدار هممهم في الطلب والتحصيل والجدِّ والاجتهاد.
٥. الرواية والدراية صنوان متلازمان، وجعلهما الإمام ابن مجاهد من صفات القارئ المتقن، قال:"ومنهم من فهِم التلاوةَ وعلِم الرِّوايةَ، وأخذ حظّا من الدِّرايةِ من النَّحو واللغة، فتؤخَذ منه الرِّوايةُ ويُقصَد للقراءة".
٦. أن الذي يتميَّز به علماءُ التجويد عن سابقِيهم من علماء العربية هو تنبيهُهُم على العيوبِ النُّطقيَّة التي تَجري بها عاداتُ الناس اللُّغويَّة عند قراءتِهم لكتاب الله تعالى، وكذا تنبيهُهُم على الاحترازات النُّطقية التي يَجبُ استعمالُها حتى لا يَقَع الإنسانُ في تلك العيوب، ومن هنا كانت حياةُ علم

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني ١/ ٣٠١.

التجويد إلى عصرنا هذا، فكلُّ عالمٍ كان يَرصُدُ الأخطاءَ الأدائيَّة التي تَجري في عصرِه مِن قِبَلِ متعلِّمي القراءة، ويَصِفُ الدَّواء الشَّافِيَ لها.

٧. أن المعارف العلمية في كتب التجويد والقراءات تنقسم إلى قسمين: قسمٍ خاصٍّ بتوصيف الرِّواية والأداء وذكر الأسانيد، وهو رافدٌ مهمٌّ للتلقِّي المنطوق، ويمكن إلحاقُه به والحكمِ عليه بأنه من الثابت في علم التجويد، وقسم ثانٍ خاصّ بتوجيه القسم الأول، والكشف عن معانيه، وما يرفد ذلك من علوم متصلة به كالنحو والصَّرف واللغة وما يتعلَّق به بسبب من علوم القرآن... إلخ، وهو الذي يتغير بتغير نمطية العصر وثقافته وانفعال الناس تجاه القسم الأول.

٨. يتفاوت توصيفُ الصورةُ الأدائيةُ وتعليلها في عبارات المصنِّفين قوة وضعفاً؛ لأنَّ ملكاتِ الناس وفهومَهم تختلف إزاء الظواهر التي ينفعلون تجاهها.

٩. أن من منهجية الاستمداد من مصنفات علم التجويد لجوءَ العلماء المحقِّقين إلى اختيار كتبٍ بعينها اشتهر أصحابها بالدقَّة والضبط والأمانة والنقل الصحيح في التوصيف؛ لتكون مراجع في هذا العلم.

١٠. أن ضعف الهمم والملكات عند بعض الطلاب اليوم هما من العوائق الرئيسة في عزوفهم عن كتب التجويد الأصيلة.

١١. قدَّم البحث حلولاً مقترحة تحكم عملية الأداء القرآني وكيفية الاستمداد من مصنَّفات كتب التجويد.

١٢. أن الالتزام الأدبي مع العلماء والقراء وتوقيرهم من جهةٍ لا تعني التوقف عند عباراتهم وعدم مناقشتها والاحتجاج لها أو عليها مع الاستدلال، بل هو من خصائص حياة العلم وتقدُّمه، وإلا جمد العلم وبقي محصوراً في مسائل تلوكها الأجيالُ بفهْمٍ وبلا فهْمٍ.

أسأل الله عز وجل أن يكون هذا البحث نافعاً لقارئيه، وبالله التوفيق . والحمد لله رب العالمين.

المراجع العلمية من المخطوط والمطبوع

الكتب المخطوطة

١. الدرر المنظمة البهية في حلّ ألفاظ الجزرية ، كيّ الدين منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري الشافعيّ، نسخة مصورة عن المكتبة الأزهرية رقم عام ٣٧٦١٥/ رقم خاص ١٢٠٤قراءات

الكتب المطبوعة:

١. أدب الكاتب، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٢. الأصول في النحو، لمحمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٣. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير زاهد ، عالم الكتب ، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

٤. الاقتراح في أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م

٥. الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي الغرناطي أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (ت ٥٤٠هـ)، حققه وقدم له: عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

٦. الإنصاف في حل مسائل الخلاف بين النحويّين: البصريّين والكوفيّين، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

٧. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م.

٨. التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: د. غانم

قدوري الحمد، دار عمار، عمَّان – الأردن، ط٢، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م .

٩. التصريف لمن عجز عن التأليف، للطبيب أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت حوالي ٤٠٠ هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – ألمانيا، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٣١، طبع بالتصوير عن مخطوطة بشير آغا رقم (٥٠٢)، مكتبة السليمانية، استانبول .

١٠. التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأسئلة الفقهية، ، لأبي محمد عليّ بن أحمد بن حزم الظاهريّ (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٥٩ .

١١. تمكين المدِّ في آتى وآمن وآدم وشبهه، لمكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٢. التمهيد في معرفة التجويد،لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني (ت ٥٦٩هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

١٣. جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، جامعة الشارقة – الإمارات (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

١٤. جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت ٤٤٤ هـ)، من أول الكتاب إلى أوَّل فرش الحروف، إعداد عبد المهيمن عبد السلام طحَّان، رسالة دكتوراه مقدَّمة إلى كلِّية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرَّمة، ١٤٠٦ هـ.

١٥. الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م

١٦. الحروف، لأبي نصر الفارابيّ (ت ٣٣٩ هـ)، حققه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت.

١٧. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

١٨. دراسة السمع والكلام، لسعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٩. رسالة في اللُّثغة، ليعقوب الكندي (ت ٢٦٠ هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان، ضمن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٦٠، ج٣، شوال ١٤٠٥ هـ = يوليو ١٩٨٥ م.

٢٠. سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم ، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٢١. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

٢٢. شرح رسالة الدر اليتيم ، أحمد بن فائز الرومي، مكتبة الشيخ أيمن رشدي سويد

٢٣. شرح كتاب سيبويه (القسم المطبوع منه)، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، (ت ٤٥٦هـ)، دار الجيل، بيروت – لبنان.

٢٥. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ،تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٦. غاية النِّهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزريّ (ت ٨٣٣ هـ)، نشر ج . برجستراسر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م.

٢٧. كامل الصناعة الطبية، لأبي الحسن عليّ بن العباس المجوسي (ت ٣٨٤هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث.

٢٨. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب،

مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٢٩. كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ١٣١٧ هـ.

٣٠. كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٣١. الكنز في القراءات العشر، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ)، د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٣٢. المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانيّ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط٢، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

٣٣. المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب (من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري)، عادل إبراهيم أبوشعر، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٣٤. معاني القرآن ، ليحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار.

٣٥. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ) ، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٣٦. معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢٢٥ هـ)، تحقيق: د. عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٣٧. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبيّ، تحقيق: طيار آلتي قولاج، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي بإستانبول، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٨. معيار العلم في المنطق، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ، شرح: أحمد شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٣٩. المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ)، ج٥ الفرق غير الإسلامية، تحقيق محمود محمد الخضيريّ، القاهرة، ١٩٦٥م. ج١٦ إعجاز القرآن، تحقيق أمين الخولي، القاهرة ١٩٦٥م.

٤٠. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩م.

٤١. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

٤٢. المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازنيّ، لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.

٤٣. الموضح في التجويد، لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

٤٤. نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ (ت ٥٨١ هـ)، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع.

٤٥. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، اعتنى به علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٣

أسئلة البحث ٣

حدود البحث ٤

أهمية البحث وأهدافه ٤

الدراسات السابقة ٤

منهجية البحث وخطَّته ٤

المبحث الأول: الثابت في علم التجويد (عملية النقل الصوتيّ للقرآن الكريم) ٦

المطلب الأول: المواصفات المعيارية للمعلِّم المتقن ٧

المطلب الثاني: المواصفات المعيارية للطالب المتقن ٨

المطلب الثالث: ثبات الأداء القرآني وتفاوته عبر العصور ١٠

المبحث الثاني: المتغير في علم التجويد (توصيف الأئمة للظواهر الأدائية) ١٧

المطلب الأول: أهمية نصوص كتب التجويد الأصيلة في ضبط عملية الأداء ١٧

المطلب الثاني: تفاوت عبارات المصنِّفين في كتبهم ١٨

المطلب الثالث: منهجية الاستمداد من مصنَّفات علم التجويد ١٩

الخاتمة وأبرز النتائج ٢٣

المراجع العلمية من المخطوط والمطبوع ٢٥

فهرس الموضوعات ٣٠